بسم الله الرحمن الرحيم

اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين

نظام الإقتصاد في الإسلام

نظام الاقتصاد الإسلامي فريد من نوعه

تتبوأ المشكلة الاقتصادية في النظام العالمي مكان الصدارة لأنها المسألة الخطيرة التي تشغل العالم اليوم، وقد حملت حضارة الغرب المادية حالة من اضطراب العلاقات الدولية في يد، بينما حملت في اليد الأخرى حالة من النزاع بين الطبقات المختلفة.

فالنظام الاقتصادي لدول الغرب قد انتهى إلى مشاكل جمة بسبب عجزه عن سد حاجات الأوضاع الجديدة، فهو نزاع دائم بين " رأس المال " والطبقة العاملة، وعلى ذلك فلن يكون في العالم سلام ما دامت المشكلة الاقتصادية لم تحل.

ولعل مقومات السلام في هذه الحالة هي في يد الإسلام لأن النظام الاقتصادي الذي جاء به هو الذي يوفق بين صاحب العمل والعامل، ويقدم الإصلاح المنشود ليسود السلام في الأرض قاطبة. ولنظام الإسلام خصائص لا نجدها في غيره من النظم الاقتصادية الحاضرة.

إن المتتبع لنصوص القرآن والسنة يجد أن الإسلام شامل، ينظم علاقة الإنسان بربه جل وعلا وعلاقة الإنسان بأخيه الإنسان وعلاقة الإنسان بالكون كلّه باعتباره مستخلفا فيه من قبل المالك الحقيقي تبارك وتعالى. ولما كان الإسلام دينا عمليا ينظم مقتضيات الحياة ويجمع بين متطلبات الروح والجسد بميزان العدل والاستقامة وقد رسم للروح طريق سعادتها كان من الضروري أن يرسم أيضا للمادة طريق سعادتها ويأمر بتحصيل ما فيه خيرها ونفعها.

ولما كان المال عصب الحياة وبه ترقى الأمم، وتحقق ما تصبوا إليه من رفعة وعلم وصحة وعمران، فقد أولاه الإسلام عنايته الفائقة بالتوجيه والتنظيم... وحثّ على تحصيله من الطرق المشروعة كالتجارة والزراعة والصناعة واعتبر تحصيله من هذه الطرق ابتغاء من فضل الله تعالى،

ويجب السعي إليه بمجرد الانتهاء من صلاة فريضة الجمعة. يقول جل ذكره في محكم تنزيله: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾(الجمعة/9-10) فالآية الأولى تأمر المسلمين أن يتركوا البيع وسائر نشاط المعاش بمجرد سماعهم للأذان وترغيبهم في هذا الانخلاع من شؤون المعاش والدخول في الذكر في هذا الوقت، ثم يعود إلى مشاغل العيش مع ذكر الله متى انتهت الصلاة. وهذا هو التوازن الذي يتسم به المنهج الإسلامي، التوازن بين مقتضيات الحياة في الأرض من عمل وكد ونشاط وكسب، وبين عزلة الروح فترة عن هذا الجو وانقطاع القلب وتجرده للذكر، وهي ضرورة لحياة القلب لا يصلح بدونها للاتصال والتلقي والنهوض بتكاليف الأمانة الكبرى. وذكر الله لابد منه في أثناء ابتغاء المعاش، والشعور بالله فيه هو الذي يحول نشاط المعاش إلى عبادة، ولكنه مع هذا لابد من فترة للذكر الخالص والانقطاع الكامل والتجرد الممحض كما توحي الآيتان.

وإذا كان الإسلام قد حثّ على السعي في طلب الرزق، وتحصيل المال فإنه نهى عن تحصيله بالطرق التي تضر بالغير، والتي تستغل حاجة الضعيف المحتاج، فنهى عن الربا والغش، ونهى عن التجارة المحرمة يعني تجارة الخمور والمخدرات والخنزير وكل ما يفسد العقل ويضر بالجسم على الإطلاق ونهى عن الميسر وتجارة كل مايفسد الأخلاق ويعبث بالإنسانية كما نهى عن الرشوة التي تذهب بالحقوق والكفايات. وفي ذلك يقول جل علاه: ﴿ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقا من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون﴾(البقرة/ 187) وقد ورد في الصحيحين عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إنما أنا بشر وإنما يأتيني الخصم فلعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي له. فمن قضيت له بحق مسلم فإنما هي قطعة من نار فليحملها أو ليذرها » وهكذا يتركهم لما يعلمونه من حقيقة دعواهم، فحكم الحاكم لا يحل حراما، ولا يحرم حلال إنما هو ملزم في الظاهر، وإثمه على المحتال فيه.

كذلك أمر الإسلام بالاعتدال في صرف هذا المال وأن لا يظن به المسلم عن جماعة المسلمين إذا احتاجوا إليه، في إطار من التوسط في الأمور دون إفراط أو تفريط كما هو الشأن في أمور

الإسلام كلها. ولذلك كان من صفات عباد الرحمن ما حكاه القرآن الكريم في قوله: ﴿والذين إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك قواما﴾ (الفرقان/67) وجعل الإسراف فيها أو الظن بها عن الحقوق والواجبات مما يوقع في الحسرة والملامة. قال تعالى: ﴿ ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا ﴾(الإسراء/29)، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في حديث أخرجه الإمام الترمذي رحمه الله: « لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن علمه ماذا عمل به، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ».

الشيخ الطاهر بدوي